

طرق التداوي وأساليب العلاج لدى القبائل الصحراوية بالجزائر - الطوارق أنموذجا -

The medication methods and healthcare styles of the Algerian Saharan tribes- Touaregs as a model-

طياب مريم*

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)

meriem.tiab@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/27 تاريخ القبول: 2023/02/26

● الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية بعض مظاهر التداوي والعلاج في أوساط القبائل المغاربية الساكنة عمق الصحراء الجزائرية ونخص بالذكر قبائل التوارق، فلاشك أن البحث عن الشفاء جعل إنسان المغرب القديم يبحث لنفسه عن طرق لمواجهة الأوبئة وعلاج الأمراض، فاستخدم الأعشاب والحيوانات والتعويذات والترايم والصلوات وغيرها.

ونحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على طرق مواجهة الأمراض وأسرار بعض الخلطات العلاجية والوصفات الطبية كما نسعى إلى إبراز الخصائص السوسيوثقافية لهذا المجتمع ورصد ذهنية إنسان هذه المنطقة، ومدى تأقلمه وتلاقحه مع بيئته الصحراوية، وننوه إلى أن الإنسان الصحراوي قد اعتمد على منظومته البيئية كمصدر لاستخلاص وإنتاج الوصفات العلاجية، فاستغل الأعشاب والحيوانات لذلك، وسنأتي على ذكر البعض منها ومجالات استخدامها.

كلمات مفتاحية: الأوبئة - الأمراض - الصحراء - قبائل التوارق

Abstract: (Do not exceed 10 lines/ 250 words as a maximum)

Abstract:

this paper revolves around some medication and healthcare aspects of the maghreb tribes living in the deep algerian sahara mainly the touaregs. undoubtedly, looking for the cure made the ancient maghreb man look for ways to face the epidemics and treat diseases. thus, he used herbs, animals, prayers, spells, etc.

consequently, we attempt to shed light on their ways of facing diseases and the secrets of some healthcare and medical prescriptions. in addition, we want to show the socio-cultural characteristics of this society, the mentality of its people, and the extent to which they adapted with their saharan environment. moreover, we want to draw attention that the saharan man relied on the environment as a source to extract and produce medical treatments. thus, he used herbs and animals that we shall discuss and show their domains of use.

Key words: epidemics; diseases; Sahara, Touareg tribes.

● مقدمة:

ورد ذكر الصحراء في الكثير من المصادر التاريخية الأدبية والأثرية، حيث تقدم اغلب المصادر التوثيقية في مضامينها قيمة معرفية هامة تساعد على الإلمام بالملامح الاثنولوجية والانثروبولوجية لمجتمعات الصحراء، ولعلّ أبرز ما تتضمنه هذه المصادر تسليط الضوء على خصوصية الموروث السوسيوثقافي للعناصر الساكنة عمق الصحراء والتي تشكلت بفعل الامتدادات التاريخية والتلاحق الحضاري والتمازج البشري بين العناصر الأصلية ونظيرتها الوافدة، وفي المقابل يمكننا القول أن تعدد الدراسات و تنوع الأبحاث لهو دليل قاطع على الأهمية التي تكتسبها الصحراء في ميادين البحث العلمي بمختلف تخصصاتها لكن من المفارقات الغريبة عدم وجود دراسات أكاديمية جدية لرصد طرق التداوي لدى ساكني الصحراء، حيث يجد الباحث صعوبة في جمع وحصر المادة العلمية إلا البعض القليل منها والمتناثرة بين طيات المصادر والمراجع، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى التدقيق في المقاربات والمقارنات والمفارقات التاريخية سعياً منا للإلمام بالموضوع وفتح نافذة علمية على مظاهر ووسائل مواجهة الإنسان للأوبئة عبر مختلف الحقب التاريخية، وهنا تكمن أهمية الدراسة التي سنربطها بتجربة جائحة كورونا لكونها كانت المحفز الرئيسي للبحث في الأساليب والطرق العلاجية التي استخدمها المجتمع الصحراوي لمواجهة الوباء عبر مختلف الحقب التاريخية، انطلاقاً من فرضية تفاعل وتفعيل المعطيات البيئية والسوسيوثقافية مع حالات الأوبئة والأمراض السائدة في المجتمع وبروز طرق إنتاج وإعادة إنتاج وصفات طبية.

1. الاستيطان البشري في الصحراء:

استوطن الإنسان الصحراء منذ آلاف السنين وعمل على إثبات حضوره التاريخي والحضاري من خلال مجموعة من النقوش والرسوم الصخرية التي تعود إلى 12 ألف سنة، وقد صنف علماء الآثار اللوحات الصخرية وفق ثلاث مراحل أساسية بناءً على الرسومات والأشكال التي تغطي على مواضيعها وهي:

- المرحلة القديمة أو العتيقة (تعود إلى سبعة آلاف ق.م)

- مرحلة البقريات (تمتد زمنياً ما بين 4 آلاف ق.م إلى 1500 ق.م)

- مرحلة الخيول (تاريخ بالعصر النيوليتي) ت

- مرحلة الجمال (التي تبدأ بفترات الميلاد تقريباً).¹

وقد حاول الإنسان من خلال هذه الرسومات التعبير عن حياته اليومية و رصد بيئته المحيطة به، وبالرغم من أن اغلب الجغرافيين يتفقون على صعوبة وقساوة العيش في الصحراء²، إلا أننا نجد الكثير من المجموعات البشرية قد استقرت بها واتخذتها منطقة استيطان أو منطقة عبور، حيث شهدت هجرات بشرية عبر فترات تاريخية مختلفة³، ففي المرحلة القديمة يشير الباحثون إلى ارتفاع معدلات العنصر الزنجي النيلي (القادم من جنوب واد النيل)، أما الفترة الوسطى فقد عرفت توغل للعناصر الملونة ذات البشرة النحاسية ومع نهاية العصر

¹ بعيطيش عبد الحميد- "المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية"- دورية كان التاريخية- ع30، ديسمبر 2015-ص74.

² الحسن بن محمد الوزان الفاسي- وصف إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون- ط2- دار الغرب الاسلامي- بيروت 1983-ص131.

³ Jacques Hureiki- Essai sur les origines des touaregs herméneutique culturelle des touaregs de la région de Tombouctou- karthala Editions- 2003 -p13.

النيوليتي هاجرت هذه المجموعات البشرية باتجاه الجنوب وصولاً إلى المناطق الرطبة¹. ومع بداية الألف الثانية قبل الميلاد توافد على الصحراء مجموعات بيضاء قادمة من الشمال ومن الشرق وقد أثبتت الرسومات الصخرية هذه الفسيفساء البشرية في الكثير من الملاحي الصخرية في منطقة الطاسيلي والاكاكوس، ويبدو أن هذه المجموعات قد اعتمدت في عيشها على مخطط ثلاثي قائم على: التجارة والزراعة وتربية الماشية²، كما شهدت الصحراء توافد لعناصر قادمة من الشمال يبدو أن نشاطها الأساسي تمثل في الرعي وهو ما أكدته هيرودوت عند إشارته إلى هجرات من الشمال والجنوب فذكر قبائل الغرامنت أو الجرامنت المستقر في واحة فزان، كما تحدث عن قبائل النساموني **Nasamoni** حيث تحدث عن ممارستهم للتنجيم والرعي وتركهم لقطعانهم في الصيف بجوار البحر وتوجههم نحو منطقة أوجلة لجمع التمور واصطياد الجراد وتجفيفه في الشمس وطحنه ووضعه في الحليب وشربه³.

وبالعودة إلى المصادر الرومانية يمكن للباحث الوقوف على الأهمية الجيوعسكرية التي مثلتها الصحراء بالنسبة للمقاومة الوطنية ضد الاستعمار الروماني حيث مثلت قاعدة عسكرية خلفية ومركزاً للدعم اللوجستيكي، ولعلى اعتصام يوغرطة بالمناطق الصحراوية واتخاذها لمدينة تالا حصن له واستعانته بالمحاربين الجيتول الذين استعان بهم تاكفاريناس أيضاً في مقاومته لدليل على الأهمية التي اكتسبتها الصحراء في المقاومة الوطنية، وهو ماجعل الرومان يدركون في وقت مبكر مدى الخطورة التي تمثلها الصحراء فعملوا كمرحلة أولى على ضمها عسكرياً والتوسع فيها على غرار المناطق الشمالية إلا أن فشلهم في مخططهم هذا جعلهم ينتقلون إلى المرحلة الثانية التي ركزوا فيها على مخطط قائم على عزلها عن الشمال من خلال إقامة حصون عازلة ومراكز عسكرية لرصد تحركات القبائل كما نصبت مركز الفيلق الثالث على مشارف الصحراء في مدينة لامبيس وهذا بعد فشلهم في التوسع عسكرياً كما اشرنا سابقاً⁴، ويبدو أن الاحتلال الروماني قد فشل في التوغل في الصحراء واقتصر على مراقبة مشارفها وهو نفس النهج الذي اتبعه الوندال والبنزط أثناء احتلالهم للمغرب القديم. بانتهاء العصر القديم يمكننا التأكيد على تسرب تأثيرات مصرية وفينيقية و رومانية وصفة بالطابع العسكري والتجاري⁵.

ومع وصول الفاتحون المسلمون للمنطقة وتوغل المؤثرات العربية الإسلامية فانتشر الإسلام بين القبائل القاطنة بالصحراء⁶ فكيفوا ثقافتهم البربرية وفق تعاليم الدين الإسلامي كما برز الوجود العربي في المنطقة إلى جانب الزنوج والبربر، وتحدثنا المصادر عن القبائل العربية التي توغلت في الصحراء واتخذتها موطن لها ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري على اثر غزو بني هلال للمنطقة المغاربية والتي تزامنت مع هجرة القبائل البربرية إلى عمق الصحراء، ولعلى ابرز القبائل العربية التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية هي

¹ لخضر بن بوزيد-أوائل البربر في الصحراء الوسطى بين 3000و1000ق.م- المجلة التاريخية الجزائرية-ع9-جامعة المسيلة- الجزائر2018-ص.ص 39-41.

² Eugene Fromentin- Un Eté Dans Le Sahara- Enag Editions Alger -2001-P48.

³³ هيرودوت- تاريخ هيرودوت- تر: عبد الإله ملاح، المجمع الثقافي - أبو ظبي 2001- ص ص 117-119.

⁴ Feigel (M.M)-Historia Legionis Iii Augustae -Alma Litterarum Universitate- Berolini

1882 - P7.

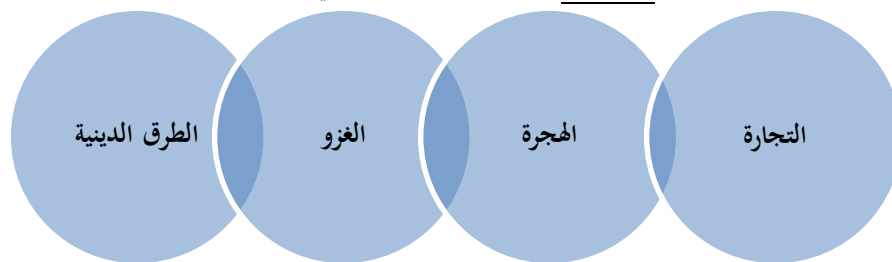
Pachtère (F.G)- Les camps de la troisième légion en Afrique au premier siècle de l'empire Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 60^e année- n 3- 1916- PP 273-284.

⁵ اسماعيل العربي-الصحراء الكبرى وشواطئها- المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1983- ص 200.

⁶ انظر الملحق 1

قبيلتي كتامة وصنهاجة اللتان تنسبان لقبائل حميرية القادمة من اليمن¹، وقد صنف ابن خلدون صنهاجة إلى أصناف منها صنهاجة المثلثون الذين وصفهم بقوله: "هذه الطبقة من صنهاجة هم المثلثون الموطنون بالفقر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب... وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتبأوا عن العمران، واستثناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، وصاروا مابين بلاد البربر والسودان، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وكثروا وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونه، فمسوفة فوتريكة فتركا فزغارة، ثم لمطة هم إخوة صنهاجة... الرياسة فيهم للمتونة"² وقد ذهب البعض إلى اعتبار قبائل التوارق سليل المثلثون الصنهاجيون³ الذين صنفهم النسابون إلى شعوب البرانس حيث نجد ابن خلدون يصنفهم على النحو التالي: "فعند النساين أنهم يجمعهم سبعة أجدام وهي: ازدوجة ومصمودة وأورية وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريعة"⁴، في حين اعتبرهم البعض الآخر بربر مسلمون على غرار خرداذبة الذي نجد يقول: "إن هؤلاء البربر كرهوا نزول المدن بسبب الروم والأفارقة فنزلوا الجبال والرمال، فعادت المدائن رومية حتى فتحها المسلمون"⁵ واعتبرهم آخرون عنصر مولد من علاقات تصاهر ذات جذور إفريقية بربرية وعربية⁶.

الملحق 1 طرق انتشار الإسلام في المناطق الصحراوية



2. توارق الصحراء الجزائرية :

تشكل الصحراء الجزائرية همزة وصل بين المناطق الشمالية الساحلية وبلدان إفريقيا ما وراء الصحراء فظلت تأثر وتتأثر بمستجدات المنطقتين المحصورة بينهما (شمال إفريقيا- إفريقيا ما وراء الصحراء)، كما شكلت منطقة تلاقي وتلاقح للمظاهر الانثولوجية والانتروبولوجية للمنطقتين أيضا فقد تمازج فيها البربر بالعرب والزواج وفضلا عن كونها مجالا لتصارع الأطماع الاستعمارية عبر مختلف الفترات التاريخية حيث شكلت هدفا استراتيجيا بنيت عليها السياسات التوسعية لمختلف الإمبراطورية الاستعمارية الكبرى التي تعاملت مع الصحراء كهاجسا امنيا⁷

¹ ابن عذاري- أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- دار الثقافة- بيروت 1983-ص 240.

² عبد الرحمن بن خلدون،- كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- ج 6، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات- بيروت 1971-ص 181..

³ سعد زغلول عبد الحميد- تاريخ المغرب العربي- ج 4- منشأة المعارف بالإسكندرية- مصر 1995- ص 44.

⁴ ابن خلدون- مصدر سابق- ص 89-90.

⁵ أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة- المسالك والممالك- لندن- مطبع بريل 1889- ص 91-92.

⁶ خليفي عبد القادر- مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الانثروبولوجية والسوسيوثقافية- مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية- ع 13، جامعة المسيلة- الجزائر 2017-ص 244.

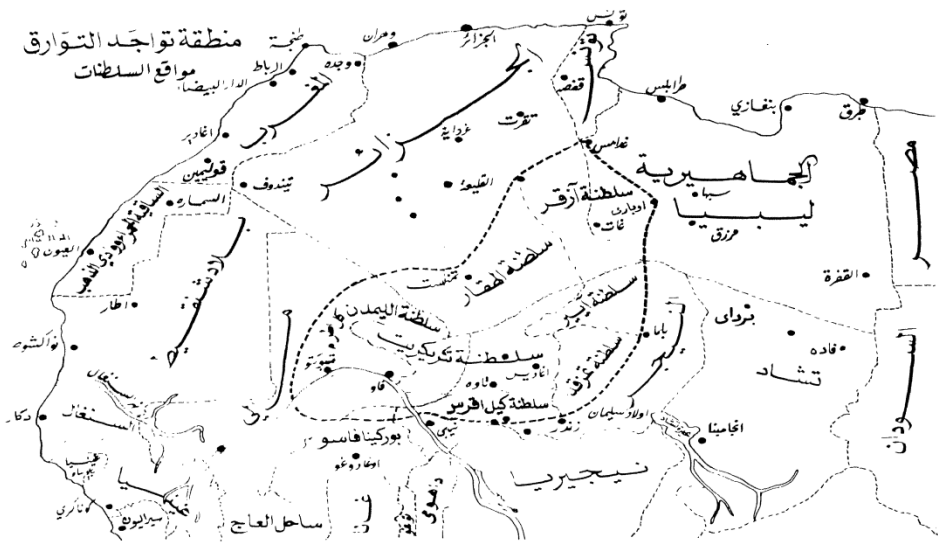
⁷ رجال بوبريك- مجتمع الصحراء من الكتابات الاستعمارية- ط 1- المطبعة السريعة، المغرب الأقصى 2010- ص 58.

الملحق 2: كرونولوجيا الصراعات في الصحراء¹



لقد استوطنت قبائل التوارق الصحراء الكبرى وميزهم الباحثون عن غيرهم من أهل السودان الذين عرفوا بتسمية "سنغي"²، واتخذوا الصحراء موطناً لهم منذ أقدم العصور وفق دلالات المخلفات الأثرية المادية واللامادية واللوحات التصويرية التي كانت محل دراسة وبحث من طرف العديد من الباحثين الذين حددوا الحيز الجغرافي الذين شغله التوارق بالمناطق التالية جنوب شرق الجزائر - جنوب غرب ليبيا - شمال النيجر - شمال تشاد - الجنوب الشرقي لموريتانيا - الشمال الغربي لمالي - شمال بوركينا فاسو والشمال الغربي - الجنوب الغربي لنيجيريا³، على أنها قبائل وصفة بالحركية والتنقل الدائم حسب المعطيات السياسية والأمنية وكذا البيئية والمعيشية حيث لا تتحكم فيهم حدود سياسية ولا قوانين وضعية.

الخريطة 1: مناطق انتشار قبائل التوارق



المراجع: محمد السعيد القشاط - التوارق عرب الصحراء - مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء - القاهرة 2001 - ص 15.

¹ رجال بويريك - مرجع سابق - ص 67-71.

² العتيق بن سعد الدين السوقي التكروري - الجوهر الثمين في أخبار صحراء المثلثين - خزانة الشيخ حيدة - الحي الغربي - ادرار - الجزائر - ص 20.

³ انظر الخريطة 1

نزع التوارق من الشمال صوب عمق الواحات الصحراوية لأسباب متعددة على رأسها البحث عن الحرية والفرار من سيطرة القوات الغازية من جهة والسعي لنشر الدين الإسلام عشيبة الفتوحات الإسلامية من جهة أخرى. لقد تم تقسيم القبائل التارقية إلى قسمين: **توارق الساحل** تضم كلا من كل اير - كل ادرار - كل تدمكت - كل أنصار - كل السوق - كل غزاف - كل يلمدن - كل ايترام، وقسم عرف **بتوارق الصحراء** يضم: كل اجر وكل اهقار (طوارق اهيطةغال **Ahitaghel** و طوارق اجر اخنوخن **Ikhenoukhen**). وقد تقاسمت التوارق الصحراء مع قبائل أخرى اتخذت من المنطقة أيضا موطنًا لها على غرار قبائل الشعانبة والكنتين والتكرور وغيرهم. ويبين الجدول المرفق إحصائيات خاصة بعدد التوارق في الصحراء الإفريقية

الجدول 1: توزيع التوارق في الصحراء الإفريقية²

العدد الإجمالي	ما يقارب مليون ونصف نسمة
النيجر	750000 نسمة
مالي	400000 نسمة
ليبيا	50000 نسمة
بوركينافاسو	35000 نسمة
الجزائر	25000 نسمة

3. اسطوغرافية التوارق:

لقد حاول الكثير من الرحالة والمغامرين والمستكشفين والمبشرين الأوروبيين التعرف على هذه القبائل من ناحية الأصول والتنظيمات السياسية والاجتماعية والخصوصية الثقافية مما أنتج إرثا اسطوغرافي ذو ثلاث مصادر: **مصادر محلية** تداولتها الأجيال شفهيًا باللهجة التارقية ذات الأصل الامازيغي البربري ظلت محصورة بين أبناء التوارق أساسها الشعر الغنائي، حيث تتضمن القصائد دلالات تاريخية وسياسية فضلا عن دلالاتها الأدبية.

وقد حاول بعض الباحثين الإلمام باللغة التارقية على أمل التمكن من دراسة المجتمع التارقي من بين هذه الجهود نذكر القاموس الفرنسي التارقي لصاحبه شارل دي فوكو³ الذي نشر في مجلدين بلغت صفحاته 1450 وجمع 6000 بيت شعري. **مصادر عربية إسلامية** تضمنت دراسات وأبحاث قيمة حول الموروث الثقافي والتاريخي لقبائل التوارق فوجد كلا من البكري وابن خلدون وليون الإفريقي والإدريسي وغيرهم قد جعلوا من قبائل التوارق محل دراسة وبحث على أن هذه الدراسات العربية تختلف عن نظيرتها الأوروبية من جانب

¹ Henri Duveyrier- Les Touareg Du Nord- Editeur Challamel Aine, Paris 1884- P350

² بوقارة حسين- "مشكلة الأقلية التارقية وانعكاساتها على الاستقرار في منطقة الساحل الإفريقي" - مركز الشعب للدراسات الإستراتيجية- ع 07، نوفمبر 2008-ص 6

³ Kraus Reprint " - Revue Africaine" Journal Des Travaux De La Société Historique Algérienne Vol 63 -(Opu) Alger 1922- P 490

الغاية والهدف إذا أنها هدفت إلى التعريف بهذه القبائل واكتشاف مكنوناتها وتركيباتها في الوقت الذي سعت الأدبيات الكولونيالية- التي تعد المصدر الثالث- للتعرف عليها بهدف التوصل للأساليب التي تتيح ضمها واحتلالها على غرار المناطق الشمالية الأخرى وقد شارك في هذا المسعى عدد من الجغرافيين والانثروبوجيين والمؤرخين والقادة العسكريين وحتى المغامرين من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرها من البلدان الأوروبية، نذكر على سبيل المثال غوستاف لوبون وهنري لوت¹ وفلاترز وفورو لامي وهنري دوفري² الذي تضمن كتابه "توارق الشمال" معلومات قيمة حول أساليب وطرق التدوي والعلاج في أوساط المجتمع التارقي، إلى جانب حديثه عن تجارتهم في عمق الصحراء ومختلف العلاقات مع جيرانهم³. وفي الفترة المعاصرة أولت الكتابات والأبحاث أهمية قصوى للتوارق خاصة بعد ظهور أزمات منطقة الساحل⁴ وتنامي حركات التمرد الانفصالية التارقية فتعددت الدراسات الجيوسياسية والجيوعسكرية.

4. الأوبئة والأمراض في المجتمع التارقي:

تميزت الصحراء بقسوة العيش وصعوبة التأقلم ورغم ذلك إلا أن قبائل التوارق تمكنت من التعايش مع معطياتها البيئية ومواجهة تحدياتها ومن ملامح ذلك مواجهة الأمراض التي تنتشر في البيئة الصحراوية على غرار أمراض العيون التي تتسبب فيها الرمال المتناثرة لعل أشهرها مرض طرنة العيون الناتج عن الغبار المتناثر في البيئة الصحراوية طوال فصل السنة إلى جانب أمراض التنفس الذي تتسبب فيه أيضا تناثر الغبار وارتفاع درجة الحرارة طوال أيام السنة، كما تنتشر في الصحراء أمراض المفاصل نظرا لشدة البرودة ونقص التغذية⁵، ويتسبب الترحال لديهم القوائم على ركوب الجمال والمشي لمسافات طويلة بحكم شساعة الصحراء في التعرض لمختلف الأمراض التي تصيب المثانة كما يتسبب في أعراض الفتق⁶.

إلى جانب كل هذه الأمراض نجد التوارق يعانون بكثرة من أمراض البطن نظرا لنوعية غذائهم والمياه التي يشربونها، يضاف إلى كل ما سلفنا ذكره دور الرحلات والقوافل التجارة من وإلى الصحراء، والتي ساهمت في نشر بعض الأمراض والأوبئة نتيجة للاختلاط والاحتكاك البشري، وتجدر الإشارة إلى أن التقارير الاستعمارية المتمثلة في الأحداث العسكرية والعلمية والاستخباراتية قد أولت أهمية كبرى للمعطيات الوبائية في الصحراء خلال فترة التمهيد للاحتلال لهذا وبالعودة إلى هذه الكتابات نجدها تفصيل في الوضع الصحي لقبائل التوارق خاصة والصحراء عامة

على ان هذه الكتابات تتفق على أن أسباب انتشار الأمراض والأوبئة وسط القبائل التارقية يعود إلى قلة الماء وإهمال جانب النظافة

¹ Henri L'hote-Les Touaregs Du Hoggar, Editions Payot- Paris 1955 -P102.

² هنري دوفري 1859-1861 رحالة وجغرافي فرنسي من مواليد 1840 بدء رحلته نحو الصحراء عام 1859 وعمره لا يتجاوز واحد وعشرون سنة انطلق من مدينة سكيكدة عيشة الثامن من شهر ماي 1840 وتمكن من الوصول إلى بسكرة ولقاراه وصولا إلى منطقة توات ومنها إلى إن صالح ثم تمناست ليتمكن أخيرا من بلوغ أواسط بلاد السودان: عبد القادر بوابية- "دور الرحالة والمستكشفين الأوروبيين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية"- مجلة عصور جديدة- ع6، جامعة وهران-الجزائر 2012-ص23

³ Marouf Nadir- Lecture De L'espace Oasien, Sindbad- Paris, 1980- PP. 31-58

⁴ مبروك كاهي- "منطقة الساحل الإفريقي: صراعات قديمة وتحديات جديدة"- مجلة تحولات-مج2-ع1-جامعة ورقلة الجزائر 2019-ص173.

⁵ إياد يونس عريبي- "عقراء عطا عبد الكريم الرئيس، العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى"-مجلة بحوث الشرق الأوسط-ع51-جامعة عين الشمس-القاهرة 2019-

ولمواجهة كل هذه الأمراض وغيرها اعتمد التارقي على تجاربه وخبراته وبيئته لاستنباط أدويته وعلاجاته حفاظا على حياته وحياة قبيلته وقد تعددت هذه الأساليب وتنوعت لدرجة يصعب حصرها في أوراق معدودة فالموضوع يحتاج إلى أبحاث ودراسات أكثر عمقا وأكثر دقة

5. التداوي بالأعشاب:

اعتمد التوارق في علاج الأمراض التي يعانون منها على أعشاب والنباتات الموجودة في بيئتهم الصحراوية وقد تعددت الأعشاب الطبية لدى القبائل التارقية، حيث نجد من جملة النباتات التي تستخدم لعلاج عدد من الأمراض نجد نبتة "سلوف" المعروفة علميا باسم *periploca laevigata* والتي تستخدمها قبائل التوارق لعلاج أعراض الروماتيزم وكل ماله علاقة بنزلات البرد والسعال، وشجرة ابسغ *faux-gommier* التي تستخدم أوراقها واللحاء كطارد للدود وضد الأمراض الجلدية، كما تستخدم العلكة المستخرجة من جذوعها لتضميد الجروح والحروق ولتهدئة آلام المعدة، ولعللى من أشهر النباتات العلاجية نبات "تبوراق *Teboraq*" وهي المعروفة علميا باسم *egyptiaca Balanites* ولثمار هذه الشجرة خصائص علاجية متعددة من بينها استخراج معجون ذهني يستخدم لتخفيف التهاب الجيوب الأنفية ويدهن لحماية الوجه من أضرار البرد، إلى جانب أيضا نبات تاهارت *Tahart* هذا النبات له العديد من الامتيازات الطبية، حيث أن الفروع الصغيرة المغلية تستخدم كمسهل معوي¹، كما يستعمل حليبه لمداواة الثالول بحيث يوضع مباشرة فوق المنطقة المراد علاجها.

نذكر أيضا نبات "تيلولوت *Teloulout*" اسمها العلمي *Capparis spinosa*² تستخدم الأوراق المطحونة في كمادات ضد أمراض الروماتيزم والنقرس وأمراض الكلى كما أنه يستخدم لعلاج الروماتيزم والشلل وآلام الأسنان وأمراض الكبد والطحال والسل كما تُستخدم الأوراق المجففة والمضغوطة ككفرك ضد الجرب في الإبل، ولعللى من أشهر النباتات التي تستدخل في صناعة الكثير من الوصفات العلاجية نبتة تهاق *Tabakat* المعروفة علميا باسم *Ziziphus lotus* (والمعروف وسط العامة باسم النبق)³ تستخدم جذورها كعلاج ضد لدغات الحيوانات السامة كما يستخدم كمسحوق على الدمام لتسريع علاجها.

يبدو أن الكتابات الكولونيلية قد رصدت جملة من الوصفات العلاجية التي تستخدمها القبائل التارقية حيث قدم كلا من بول فيرمال وهنري لوت وهنري دوفري تشخيص نظري لمجموعة الأوبئة والأمراض التي تنتشر وسط القبائل الصحراوية والتارقية بالخصوص - كما أسلفنا الذكر - وقدموا في نفس الوقت طرق التداوي وأساليب العلاج فقد ذكر هنري دوفري أن المرأة بعد إنجابها يقدم لها وصفة تتكون من توابل معينة مستخلصة من أعشاب محلية تعرف باسم "ايمازرن"⁴، كما أشار هنري لوت⁵ إلى استخدامهم لجريد النخيل كأداة لتنظيف بقايا الأكل بين الأسنان وهي العادة التي نجدها لازالت تنتشر بكثرة لدى سكان الصحراء.

6. بعض الحيوانات المستعملة للأغراض العلاجية:

¹ Paul Vermale- Au Sahara Pendant A Guerre Européenne- Editions Jacques Gandini- Paris 1955- p206

² Abdallah Et Rabea Sahki- Le Hoggar Promenade Botanique- Editions Esope- p88.

³ Ibd, Pp128-129.

⁴ Paul Vermale- Op-Cit, P77.

⁵ Henri Lhote- Op-Cit P295

على غرار الحيوانات تستخدم قبائل التوارق بعض الحيوانات لإنتاج وصفات علاجية للكثير من الأمراض وقد يكون الغزال أشهرها وهو المسمى باللغة التارقية **إيشنكض** الاستعمالات في الطب التقليد تتمثل في تقديم لحمه للأشخاص الذين يعانون من هشاشة العظام والروماتيزم، وكذلك مفيد للمرضى الذين يعانون من فقر الدم. كما تستعمل أمعاء الغزال للأشخاص المصابون بداء السكري، وهذا بعد تجفيفها وطحنها وطبخها مع الحساء.

أما حيوان الاروي أو الضان البربري المسمى محليا باسم **أوداد** فيستعمل لحمه بعد تجفيفه كعلاج للأشخاص الذين يعانون من البرد والروماتيزم، وكذلك مفيد للمرضى الذين يعانون من فقر الدم. أما قرونه، فبعد وضعها فوق النار، يستخرج منها زيت مفيد لأمراض الظهر والمفاصل، كما يستخدم التوارق الناقة أو **تولمين** كعلاج للكثير من الأمراض المتعلقة بالجهاز الهضمي والحساسية والربو وغيرها على أن كل الحيوانات التي يتم استخدامها للعلاج موجودة في البيئة الصحراوية على غرار النباتات والأعشاب المذكورة سابقا.

7. التداوي الروحاني أو النفسي:

على غرار باقي المجتمعات يلجأ قبائل التوارق إلى تفسير المرض و الأوبئة لقوى خفية لاسيما عند عجزهم عن علاجها أو تفسيرها، وكثيرة هي الممارسات التي يلجأ إليها التارقى طمعا في العلاج سواء العلاج الروحاني المرتبط بالشعوذة أو العلاج النفسي المرتبط بنفسية المريض، ومن جملة هذه الممارسات نذكر استخدام بعض التمايم والحروز كتعاويز فيعلقونها على أيديهم وصدورهم وأحيانا على أرجلهم اعتقادا منهم أنها تجلب الحظ وتطرد الأرواح الشريرة التي قد تكون سببا في المرض وكثير ما يتم مسح موضع المرض بالحرز أملا في الشفاء¹.

من جهة أخرى يستخدم التوارق الموسيقى² لعلاج حالات الهستيريا والجنون والصرع والمسّ وطرد الجن ولعلاج المصابين ببلدغات العقارب والأفاعي، كما تستخدم كوسيلة لتعبير عن الانفعالات والأفكار والتنفيس عن الروح، فهي إلى حد ما تستعمل للعلاج النفسي العاطفي، خاصة في فترات الحروب³، أين يحدث فقدان الأحبة من أزواج وأولاد. وفي ذات الإطار تتحدث الكتابات عن خصوصية الطب البيطري لدى نفس القبائل واستخلاصهم لمجموعة من الوصفات العلاجية للحيوانات على رأسها الجمل، كما استخدموا أسلوب العزل (الحجر) المعروف في أوساطهم باسم **فغو faghwo** حيث يعزل المريض المصاب بالوباء لتفادي العدوى بعيدا عن الخيام ويقدم له العلاج إلى أن يشفى.

● خاتمة:

حاول الإنسان التارقى التأقلم مع محيطه الصحراوي فاستغلل مختلف النباتات والحيوانية المتوفرة في محيطه ليستخلص منها وصفات للعلاج و طرق لتداوي لمواجهة الأمراض والأوبئة التي يتعرض لها، ولعللى مايلفت النظر في هذا الإطار انخفاض معدلات الإصابة بمتحور كوفيد-19 في مناطق الصحراوية التي تتمركز فيها القبائل الصحراوية ولعللى لعادات التداوي ونمط المعيشة دور في ذلك.

¹ Henri Duveyrier - op.cit p 419.

² اسماعيل العربي- مرجع سابق- ص ص 206-607.

³ خليفى عبد القادر-مرجع سابق- ص 254.

ومن جملة ما نستخلصه من هذه الدراسة المقتضية الثراء والتنوع الكبير في الأعشاب الطبية في المحيط الصحراوي وهو ما يفرض ضرورة خلق أرضية بحثية بين الصيدلانيين والأطباء والانثروبولوجيين وعلماء البيئة وغيرها لجمع مختلف الأساليب العلاجية والاستفادة منها .